الآفة الخامسة
الإعجاب بالنفس

والآفة الخامسة التى يُصاب بها بعضُ العاملين ، وعليهم أنْ يعملوا جاهدين على مداواة أنفسهم وتحريرها ، بل والاحتراز والتوقِّى منها : إنما هى الإعجاب بالنَّفس .

ولكى يكون حديثنا عن هذه الآفة واضح الأبْعاد ، محدَّدَ المعالم ، سنجعله يدور على النحو التالى :

أولا : معنى الإعجاب بالنفس :

لغة : يطلق الإعجاب فى اللغة ويراد به :

أ ـ السرور والاستحسان ، تقول : أعجبه الأمر : سَرَّه ، أُعْجِبَ به : سُرَّ به[1] . ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢١] . ﴿ **قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ** ﴾ [المائدة : ١٠٠]. ﴿ **كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا** ﴾ [الحديد : ٢٠].

ب ـ الزهو أو الإعظام والإكبار تقول : أعجبه الأمر: أى زها به ، وعظم عنده وكبر لديه، ورجل مُعْجب: أى مزهو أو مُعظمٌ ومُكبِّر لما يكون منه حسنا أو قبيحا[2] ، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا** ﴾ [التوبة :٢٥].

اصطلاحا : أمَّا فى اصطلاح الدُّعاة أو العاملين ، فإن الإعجاب بالنفس هو : «السرور أو الفرح بالنَّفس ، وبما يصدر عنها من أقوال أو أعمال من غير تعدٍّ أو تجاوز إلى الآخرين من النَّاس ، سواء أكانت هذه الأقوال ، وتلك الأعمال خيرا أم شرا ، محمودةً أو غيرَ محمودة . فإن كانَ هناك تعدٍّ أو تجاوز إلى الآخـرين من النـاس ، باحتقار واستصغار ما يصدر عنهم، فهو الغرور أو شدة الإعجاب، وإن كان هناك تعد أو تجاوز إلى الآخرين من الناس، باحتقارهم فى أشخاصهم وذواتهم والترفع عليهم ، فهو التكبُّـر، أو شدَّة الإعجاب »[3] .

(١، ٢) انظر : لسان العرب لابن منظور ١ / ٥٨١ ، مادة: « عجب » .
(٣) انظر : مختصر منهاج القاصدين ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ بتصرف .

ثانيا : أسباب الإعجاب بالنفس :

وللإعجاب بالنفس أسباب تؤدى إليه ، وبواعث توقع فيه ، نذكر منها :

١ ـ النشأة الأولى :

فقد يكون السبب فى الإعجاب بالنفس إنَّما هى النشأة الأولى ذلك أن الإنسان قد ينشأ بين أبوين يلمس منهما أو مِنْ أحدهما : حُبَّ المحمدة، ودوامَ تزكية النَّفس، إنْ بالحقِّ وإنْ بالباطل ، والاستعصاء على النُّصح والإرشاد ، ونحو ذلك من مظاهر الإعجاب بالنفس . فيحاكيهما ، وبمرور الزَّمن يتأثر بهما ، ويصبح الإعجاب بالنفس جزءًا من شخصيته ، إلا مَنْ رحم الله .

ولعل ذلك السرُّ فى تأكيد الإسلام على التزام الأبوين بمنهج الله على النحو الذى قدَّمنا فى الآفة الثانية « آفة الإسراف » .

إذ منهج الله وحده هو الذى يحمى الأبوين من أىِّ انحراف ، وبذلك يصلحان أن يكونا قدوة للأولاد .

٢ ـ الإطراء والمدح فى الوجه دون مراعاة الآداب الشرعية المتعلقة بذلك :

وقد يكون السبب فى الإعجاب بالنَّفْس إنَّما هو الإطراء والمدح فى الوجه دون مراعاة للآداب الشرعية المتعلقة بذلك :

ذلك أن هناك فريقاً من النَّاس ، إذا أطرى أو مدح فى وجهه دون تقيد بالآداب الشرعية فى هذا الإطراء وذلك المدح،اعتراه أو ساوره ـ لجهله بمكائد الشيطان ـ خاطر أَنَّهُ ما مدح وما أطرى إلا لأنَّه يملك من المواهب ما ليس لغيره، وما يزال هذا الخاطر يلاحقه ، ويلحُّ عليه حتى يصاب ـ والعياذ بالله ـ بالإعجاب بالنفس،ولعلَّ ذلك هو السر فى ذمِّه ﷺ للثناء والمدح فى الوجه، بل وتأكيده على ضرورة مراعاة الآداب الشرعية إن كان ولابد من ذلك [١] .

---

(١) الآداب الشرعية المتعلقة بالإطراء والمدح كما استنبطها العلماء من الكتاب والسنة ثلاثة : الأول : ألا يكون فى المدح إفراط ومجاوزة للحدِّ ، الثانى : أن يكون بالحق لا بالباطل ، الثالث : ألا يكون مع مَنْ يخشى عليه الفتنة من إعجاب وغيره، فإذا توافرت هذه الآداب جاز المدح ، بل قد يصير مستحبا إن كانت من ورائه مصلحة أو منفعة كالتنشيط لفعل الخير ، أو الزيادة منه ، والاستمرار عليه ، أو الاقتداء، والتأسِّى أو نحو ذلك . انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووى : كتاب الزهد والرَّقائق : باب النهى عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح ١٨ / ١٢٦ بتصرف .

جاء عن مجاهد عن أبى معمر أنه قال : قام رجل يثنى على أمير من الأمراء، فجعل المقداد بن الأسود يحثى فى وجهه التُّراب ، وقال : أمرَنا رسول الله ﷺ أنْ نحثى فى وجوه المدَّاحين التُّراب [١] .

وجاء عن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، عن أبيه ،قال : مَدَحَ رجلٌ ، رجلاً عند النبى ﷺ فقال : « ويحك ، قطعت عنقَ صاحبك، قطعت عنق صاحبك » مراراً «إذا كان أحدكم مادحا صاحبه لا محاله فليقل : أحسب فلانا ، والله حسيبه ، ولا أزكى على الله أحدا ، أحسبه - إن كان يعلم ذلك - كذا وكذا » [٢] .

٣ ـ صحبة نفر من ذوى الإعجاب بأنفسهم :

وقد يكون السبب فى الإعجاب بالنفس إنَّما هى الصحبة والملازمة لنفر من ذوى الإعجاب بأنفسهم ، ذلك أن الإنسان شديدُ المحاكاة والتأثُّر بصاحبه، لاسيَّما إذا كان هذا الصاحبُ قوىَّ الشخصية ، ذا خبرة ودراية بالحَياة ، وكان المصحوب غافلا على سجيَّته، يتأثر بكلٍّ ما يلقى عليه. وعليه فإذا كان الصاحب مصابا بداء الإعجاب، فإن عدواه تصل إلى قرينه فيصير مثله ، ولعلَّ هذا هو السرُّ فى تأكيد الإسلام على ضرورة انتقاء ، واختيار الصاحب ؛ لتكون الثمرة طيبةً والعواقبُ حميدةً ، وقد قدَّمْنا طرفا من النصوص الشرعية المتعلقة بذلك أثناء الحديث عن آفة « الفتور » .

٤ ـ الوقوف عند النعمة ونسيان المنعم :

وقد يكون السبب فى الإعجاب إنَّما هو الوقوف عند النعمة ، ونسيان المنعم ، ذلك أنَّ هناك صنفا فى العاملين إذا حباه الله نعمة من مالٍ أو علم أو قوة أو جاه أو نحوه،وقف عند النعمة ونسى المنعم ، وتحت تأثير بريق النعمة وسلطانها تحدِّثه نفسه أنَّه ما أصابته هذه النعمة إلا لما لديه من مواهب وإمكانات ، على حدِّ قول قارون : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص : ٧٨]. ولا يزال هذا الحديث يلحُّ عليه حتى يرى أنَّه بلغ الغاية أو المنتهى، ويُسر ويفرح بنفسه وبما يصدر عنها، ولو كان باطلا، وذلك هو الإعجاب بالنَّفس .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق : باب النهى عن المدح إذا كان فيه إفراط ، وخيف منه فتنة على الممدوح ٤ / ٢٢٩٧ رقم (٣٠٠٢) من حديث المقداد بن الأسود مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأدب : باب ما يكره من التمادح ٨ / ٢٢، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق : باب النهى عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح ٤ / ٢٢٩٦ رقم (٣٠٠٠) كلاهما من حديث خالد الحذَّاء ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، عن أبيه مرفوعا ، واللفظ لمسلم .

obeikandl.com

ولعل هذا هو السرُّ فى تأكيد الإسلام ، على أنَّ مصدر النعمة ـ أى نعمة ـ إنما هو الله ـ عزَّ وجل : ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ [النحل : ٥٣] . ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)** ﴾ [النحل] . ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ [لقمان : ٢٠] . ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم** ﴾ [فاطر : ٣] .

بل ، وعلى أن يناجى المسلم ربه كل صباح ومساء قائلا ، ثلاث مرات : « اللهمَّ ما أصبح بى من نعمة أو بأحدٍ منْ خَلْقِك ، فمنك وحْدَك لا شريك لك ، فلك الحمد ، ولك الشكر » [(١)] .

٥ ـ الصدارة للعمل قبل النضج ، وكمال التربية :

وقد يكون السبب فى الإعجاب بالنَّفس ، إنَّما هى الصدارة للعمل قبل النَّضج وكمال التربية ، ذلك أن ظروف العمل الإسلامى قد تفرض أن يتصدَّر بعضُ العاملين للعمل قبل أن يستوى عودهم ، وقبل أن تكتمل شخصيتهم ، وحينئذ يأتى الشيطان فيلقى فى روعهم أنَّهم ما تصدَّروا للعمل ، وما وضعوا فى الموقع الذى هم فيه الآن إلا لما يحملون من مؤهلات ، وما لديهم من مواهب وإمكانات ، وقد ينطلى عليهم ـ لجهلهم بمكائد الشيطان وحيله ـ مثل هذا الإلقاء ، فيتصورونه حقيقة ، ويرفعون من قدر نفوسهم فوق ما تستحق حتى يكون الإعجاب بها ـ والعياذ بالله .

ولعل هذا هو سرُّ حرص الإسلام على الفقه ، وعلى أن يكون هذا الفقه قبل الصدارة أو القيادة ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ **فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)** ﴾ [التوبة] . ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

---

(١) المناجاة أو الدعاء جاء فيه حديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب ما يقول إذا أصبح ٤ / ٣١٨ رقم (٥٠٧٣) من حديث عبد الله بن غنام البياضى : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بى من نعمة ، فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ، ولك الشكر ، فقد أدَّى شكر يومه ، ومَنْ قال مثل ذلك حين يمسى فقد أدَّى شكر ليلته » ، وإذ يقول بسر بن جحاش القرشى : إن رسول الله ﷺ بصق يوما فى كفه ، فوضع عليها أصبعه ، ثم قال : قال الله تعالى : «ابن آدم أنى تعجزنى ، وقد خلقتك منْ مثل هذه ، حتى إذا سوَّيتك وعدَّلتك ، مشيت بين بُرْدين ، وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقى ، قلت : أتصدق ، وأنَّى أوان الصدقة » . الحديث أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٤ / ٢١٠ .

وإذ يقول النبي ﷺ : « مَنْ يرد الله به خيراً يفقِّهه في الدين» (١) .

وإذ يقول عمر ﷺ : تفقَّهوا قبل أن تسودوا (٢) . يعني : تعلموا العلم قبل أن تصيروا سادة ، أو أصحاب مسئولية ؛ لتدركوا ما في السيادة أو ما في المسئولية من آفات فتتقوها .

٦ ـ الغفلة أو الجهل بحقيقة النفس :

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس، إنَّما هي الغفلة أو الجهل بحقيقة النفس، ذلك أن الإنسان إذا غفل أو جهل حقيقة نفسه ، وأنَّها من ماء مهين خرج من مخرج البول ، وأنَّ النقص دائما طبيعتها وسمتها ، وأن مردَّها أن تلقى في التراب ، فتصير جيفة منتنة ، تنفر من رائحتها جميع الكائنات، إذا غفل الإنسان أو جهل ذلك كله ربَّما خطر بباله أنَّه شيء ، ويقوى الشيطان فيه هذا الخاطر حتى يصير معجبا بنفسه .

ولعلَّ ذلك هو السرُّ في حديث القرآن والسنة المتكرر عن حقيقة النفس الإنسانية بدءًا ونهايةً ، إذ يقول الحقُّ سبحانه : ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨)** ﴾ [السجدة] ، ﴿ **أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠)** ﴾ [المرسلات] ، ﴿ **ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١)** ﴾ [عبس] .

٧ ـ عراقة النسب أو شرف الأصل :

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس، إنَّما هي عراقة النسب،أو شرف الأصل، ذلك أن بعض العاملين قد يكون سليل بيت عريق النسب ، أو شريف الأصل، وربما حمله ذلك على استحسان نفسه،وما يصدر عنها، ناميا أو متناسيًا أن النَّسب أو الأصل

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب العلم : باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ١/٢٧، ٢٨، وكتاب فرض الخُمس : باب قول الله تعالى : ﴿ **فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ** ﴾ ٤ / ١٠٣ ، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة: باب قول النبي ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ... إلخ» ٩/ ١٢٥، ومسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ... إلخ » ٣/ ١٥٢٤ رقم (١٠٣٧)، وكتاب الزكاة : باب النهي عن المسألة ٢/٧١٨ رقم (١٠٣٧) ، كلاهما من حديث معاوية ابن أبي سفيان ﷺ مرفوعا به .

(٢) الأثر أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب العلم : باب الاغتباط في العلم والحكمة ١ / ٢٨ تعليقا من حديث عمر بن الخطاب ﷺ موقوفا عليه به ، وعقَّب عليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١ / ١٦٦ بقوله : « أما أثر عمر فأخرجه ابن أبي شيبة وغيره من طريق محمد ابن سيرين ، عن الأحنف بن قيس قال : قال عمر ... فذكره ، وإسناده صحيح » .

لا يقدِّم ولا يؤخر، بل المعوَّل عليه إنَّما هو العمل المقرون بالجهد والعرق، وهكذا تنتهى به عراقة نسبه، أو شرف أصله إلى الإعجاب بنفسه.

ولعل ذلك هو سرُّ تأكيد الإسلام على العمل ، والعمل وحده ؛ إذ يقول الحق سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١)﴾ [المؤمنون] . ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)﴾

[النساء]

وإذ يقول النبىُّ ﷺ ـ لما أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ [الشعراء]:

« يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم من الله ،لا أغنى عنكم من الله شيئا. يابنى عبد المطلب، لا أغنى عنكم من الله شيئا. يا عبَّاس بن عبد المطلب، لا أغنى عنك من الله شيئا . يا صفيَّة عمة رسول الله ﷺ ، لا أغنى عنك من الله شيئا. يافاطمة بنت رسول الله ، سلينى بما شئت ، لا أغنى عنك من الله شيئا » (١) .

٨ ـ الإفراط أو المبالغة فى التوقير والاحترام :

وقد يكون السبب فى الإعجاب بالنَّفس ، إنَّما هو الإفراط أو المبالغة فى التوقير والاحترام ، ذلك أن بعض العاملين قد يحظى من الآخرين بتوقير واحترام فيهما مبالغة أو إفراط يتعارض مع هدى الإسلام ، ويأباها شرع الله الحنيف ، كدوام الوقوف طالما أنَّه قائم أو قاعد ، وكتقبيل يده ، والانحناء له، والسَّير خلفه. . . إلخ .

وإزاء هذا السلوك قد تحدثه نفسه أنَّه ما حظى بهذا التوقير والاحترام إلا لأن لديه من المواهب والخصائص ما ليس لغيره ، ويظل هذا الحديث يقوى ويشتد إلى أن يكون الإعجاب بالنَّفس ـ والعياذ بالله .

ولعل هذا هو سرُّ نهيه ﷺ أصحابه أن يقوموا له ، وأن يعظِّموه كما يعظم الأعاجم ملوكهم ، فيقول : « مَنْ أحبَّ أن يُمثَّلَ له الرجال قيامًا فليتبوأْ مَقْعَده من النار » (٢) .

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن: كتاب الأدب: باب فى قيام الرجل للرجل ٤/٣٥٨ رقم (٥٢٢٩) من حديث معاوية مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب التفسير : سورة الشعراء ٦/ ١٤٠ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الإيمان: باب فى قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ ١/ ١٩٢، ١٩٣ رقم (٢٠٦)، كلاهما من حديث أبى هريرة ﷺ رفوعا ، واللفظ لمسلم.

opeikanar.com

ويخرج ﷺ إلى أصحابه يوما متوكئا على عصا ، فيقومون له ، فيقول : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظِّم بعضُها بعضا »[1] .

٩ ـ الإفراط أو المبالغة فى الانقياد والطاعة :

وقد يكون السبب فى الإعجاب بالنَّفس ، إنَّما هو الإفراط أو المبالغة فى الانقياد والطاعة ذلك أن بعض العاملين قد يلقى من الآخرين انقيادا وطاعة فيهما إفراط أو مبالغة لا تتفق ومنهج الله ، كأن يكون هذا الانقياد وهذه الطاعة فى كل شيء سواء كان معروفا أو منكرا ، خيرا أو شرا .

وتبعا لذلك قد تسوِّل له نفسه أنَّه ما كان الانقياد ، وما كانت الطاعة إلا لأنه يملك من الخصائص والمزايا مالا يملك غيره، وربَّما صدق فكان الإعجاب بالنفس.

ولعلَّ ذلك هو بعض السرِّ فى تأكيد الإسلام على أن يكون الانقياد والطاعة فى المعروف ، وليس فى المعصية . يقول ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره ، إلاَّ أن يؤْمر بمعصية، فإن أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة »[2] .

١٠ ـ الغفلة عن الآثار المترتبة على الإعجاب بالنفس :

وأخيرا ، قد يكون السبب فى الإعجاب بالنفس ، إنَّما هى الغفلة عن الآثار والعواقب ، ذلك أن سلوك الإنسان فى الحياة غالبا ما يكون نابعا من إدراكه أو عدم إدراكه لعواقب وآثار هذا السلوك .

وعليه ، فإن العامل أو الداعية إذا لم يدرك العواقب المترتبة على الإعجاب بالنَّفس فإنه قد يصاب به ، ولا يراه إلا أمرا بسيطا هينا ، لا يحتاج منه أن يقف عنده ، أو أن يضيِّع فيه وقته .

ولعلَّ ذلك السرُّ فى حرص هذا الدين على عرض مبادئه ومقاصده مقرونةً بآثارها وعواقبها .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى قيام الرجل للرجل ٤ / ٣٥٨ رقم (٥٢٣٠) من حديث أبى أمامة مرفوعا به .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى:الصحيح: كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية ١٤٦٩/٣ رقم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر مرفوعا به .

obeikandi.com

ثالثا : آثار الإعجاب بالنفس :

هذا وللإعجاب بالنَّفس آثار سيئة ، وعواقب وخيمة، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامى ، ودونك طرفا من هذه الآثار، وتلك العواقب :

أ ـ على العاملين :

فمن آثاره على العاملين :

١ ـ الوقوع فى شراك الغرور بل والتكبُّر :

أى أن الأثر الأول للإعجاب بالنفس ، إنما هو الوقوع فى شراك الغرور، بل والتكبر ، ذلك أنَّ المعجب بنفسه كثيرا ما يؤدى به الإعجاب إلى أن يهمل نفسه ، ويلغيها من التفتيش والمحاسبة ، وبمرور الزمن يستفحل الداء، ويتحول إلى احتقار واستصغار ما يصدر عن الآخرين ، وذلك هو الغرور ، أو يتحول إلى الترفع على الآخرين واحتقارهم فى ذواتهم وأشخاصهم ، وذلك هو التكبُّر .

وللغرور والتكبر آثارهما الخطيرة ، وعواقبهما المهلكة التى سنقف عليها بالتفصيل عند الحديث عن هاتين الآفتين إن شاء الله تعالى .

٢ ـ الحرمان من التوفيق الإلهى :

أى أن الأثر الثانى للإعجاب بالنفس ، إنَّما هو الحرمان من التوفيق الإلهى، ذلك أن المعجب بنفسه كثيرا ما ينتهى به الإعجاب إلى أن يقف عند ذاته ، ويعتمد عليها فى كلِّ شىء ، ناسيا أو متناسيا خالقه وصانعه ومدبر أمره ، والمنعم عليه بسائر النِّعم الظاهرة والباطنة .

ومثل هذا يكون مآله الخذلان ، وعدم التوفيق فى كلِّ ما يأتى وفى كلِّ ما يدع؛ لأن الحق ـ سبحانه ـ مضَتْ سنتُه فى خلقه : أنَّه لا يمنح التوفيق إلا لمن تجرَّدوا من ذواتهم ، واستخرجوا منها حظَّ الشيطان ، بل ولجأوا بكليتهم إليه ـ تبارك اسمه ، وتعاظمت آلاؤه ـ وقضوا حياتهم فى طاعته ، وخدمته ، كما قال فى كتابه : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

وكما قال فى الحديث القدسى : « ... وما يزال عبدى يتقرَّبُ إلىَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحببته كنت سمْعه الذى يسمع به، وبصَرَه الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينَّه، ولئن استعاذ بى لأعيذنَّه »[1] .

---

[1] الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الرقاق : باب التواضع ٧/ ١٣١ من حديث أبى هريرة ﷺ رفوعا به .

٣ ـ الانهيار فى أوقات المحن والشدائد :

أى أن الأثر الثالث للإعجاب بالنفّس، إنَّما هو الانهيار فى أوقات المحن والشدائد، ذلك أن المعجب بنفسه كثيرًا ما يهمل نفسه من التزكية ، والتزوُّد بزاد الطريق ، ومثل هذا ينهار ويضعف مع أول شدة أو محنة يتعرض لها ؛ لأنَّه لم يتعرف على الله فى الرَّخاء حتى يعرفه فى الشدَّة .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** (١٢٨) ﴾ [النحل]. ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** (٦٩) ﴾ [العنكبوت].

وصدق النبىُّ ﷺ إذ ينصح عبد الله بن عباس فيقول : « ... احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله فى الرَّخاء يعرفك فى الشدة... »[(١)] .

٤ ـ النفور بل والكراهية من الآخرين :

أى أن الأثر الرابع للإعجاب بالنفّس، إنما هو النفور، بل والكراهية من الآخرين، ذلك أن المعجب بنفسه قد عرَّض نفسه بصنيعه هذا لبغض الله له، ومن أبغضه الله أبغضه أهل السموات ، وبالتالى يوضع له البغض فى الأرض، فترى الناس ينفرون منه ويكرهونه ولا يطيقون رؤيته، بل ولا سماع صوته ، جاء فى الحديث :

« إن الله إذا أحبَّ عبدا ، دعا جبريل ، فقال : إنى أحبُّ فلانا فأحبَّه ، قال : فيحبُّه جبريل ، ثم ينادى فى السَّماء ، فيقول : إن الله يحبُّ فلانا فأحبُّوه، فيحبُّه أهل السَّماء، قال: ثمَّ يوضع له القبول فى الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريلَ، فيقول : إنِّى أبغض فلانا فأبغضْه ، قال: فيبغضه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السَّماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ، قال : فيبغضونه ، ثم توضع له البغضاء فى الأرض »[(٢)] .

٥ ـ العقاب أو الانتقام الإلهى عاجلا أو آجلا :

أى أن الأثر الخامس للإعجاب بالنفس، إنما هو العقاب أو الانتقام الإلهى عاجلاً أو آجلا ، ذلك أن المعجب بنفسه قد عرَّض نفسه بهذا الخُلُق إلى العقاب والانتقام

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ١ / ٣٠٧ من حديث ابن عباس .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب بدء الخلق : باب الملائكة ٤ / ١٣٥ ، وكتاب الأدب : باب المِقَة من الله تعالى ٨ / ١٧ ، وكتاب التوحيد: باب كلام الربِّ مع جبريل ٩ / ١٧٣، ١٧٤ من حديث نافع وأبى صالح ، كلاهما عن أبى هريرة مرفوعا ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الأدب : باب إذا أحبَّ الله عبدا ٤ / ٢٠٣٠ رقم (٢٦٣٧) من حديث أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا ، واللفظ لمسلم .

الإلهى، عاجلا بأن يخسف به كما كان فى الأمم الماضية، أو على الأقل يصاب بالقلق والتمزق والاضطراب النفسى ، كما فى هذه الأمة ، أو آجلا بأن يعذَّب فى النار مع المعذَّبين .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « بينما رجل يمشى فى حلَّة تعجبه نفْسه ، مرجَّلٌ جُمَّته [١] إذ خَسَفَ الله به ، فهو يتجلجل [٢] إلى يوم القيامة »[٣] .

ب ـ على العمل الإسلامى :

وأما آثاره على العمل الإسلامى فتدور حول :

١ ـ سهولة اختراقه ، وبالتَّالى ضربه ، أو على الأقل إجهاضه ، فلا يؤتى ثماره إلا بعد تكاليف كثيرة ، وزمن طويل ؛ نظرا لانهيار العاملين المعجبين بأنفسهم فى أوقات المحن والشدائد ، بل وحرمانهم من خاصية نفاذ البصيرة، تلك التى تساعد على معرفة الأدعياء ، وتمييز الدخلاء من غيرهم .

٢ ـ توقف ـ أو على الأقل بطء ـ كسب الأنصار والأصدقاء ؛ نظرا لنفور الناس وكراهيتهم للعاملين المعجبين بأنفسهم ، وهذا فيه ما فيه من طول الطريق وكثرة التكاليف .

تلكم هى آثار الإعجاب بالنفس على العاملين ، وعلى العمل الإسلامى.

رابعا : مظاهر الإعجاب بالنفس :

ويمكن اكتشاف هذا الداء من خلال المظاهر التالية :

١ ـ تزكية النفس :

أى أن المظهر الأول للإعجاب بالنفس، إنما هو دوام التزكية للنفس، والثَّناء عليها، والرَّفع من قيمتها ، مع نسيان أو تناسى قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ** (٣٢) ﴾ [النجم] .

---

(١) مرجَّل جمَّته : أى مسرِّح ما سقط على المنكبين من شعر رأسه ، إذ الجمَّة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين . انظر : النهاية ١/ ١٧٩ .

(٢) يتجلجل : أى يغوص فى الأرض يخسف به، والجلجلة: حركة مع صوت . انظر : النهاية ١/ ١٧٠.

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب اللباس : باب منْ جرَّ ثوبه من الخيلاء ٧/ ١٨٣ ، ومسلم فى: الصحيح : كتاب اللباس والزِّينة: باب تحريم التبختر فى المشى مع إعجابه بثيابه ٣/ ١٦٥٣، ١٦٥٤ رقم (٢٠٨٨) ، كلاهما من حديث أبى هريرة مرفوعا، واللفظ للبخارى .

٢ ـ الاستعصاء على النصيحة :

والمظهر الثانى للإعجاب بالنَّفس، إنما هو الاستعصاء على النصيحة ، بل والنُّفور منها ، مع أنَّه لا خير فى قوم لا يتناصحون ولا يقبلون النصيحة .

٣ ـ الفرح بسماع عيوب الآخرين ، لا سيَّما أقرانه :

والمظهر الثالث للإعجاب بالنَّفس ، إنَّما هو الفرح بسماع عيوب الآخرين ، لا سيَّما أقرانه ، حتى قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله : إن من علامة المنافق أن يفرح إذا سمع بعيب أحد من أقرانه (١) .

خامسا : الطريق لعلاج الإعجاب بالنفس :

وما دمنا قد وقفنا على أسباب وبواعث الإعجاب بالنَّفس ، فإنَّ من السَّهل معرفة طريق علاج واقتلاع هذا الداء ، بل والوقاية منه ، وتتلخص فى:

١ـ التذكير دائما بحقيقة النفس الإنسانية ، وذلك بأن يفهم المعجب بنفسه أنَّ نفسه التى بين جنبيه لولا ما فيها من النفخة الإلهية ، ما كانت تساوى شيئا، فقد خلقت من تراب تدوسه الأقدام ، ثم من ماء مهين يأنف الناظر إليه من رؤيته ، وسترد إلى هذا التراب مرةً أخرى ، فتصير جيفة منتنة، يفرُّ الخلق كلُّهم مِنْ رائحتها، وهى بين البدء والإعادة تحمل فى بطنها العذرة، أى الفضلات ذات الروائح الكريهة ، ولا تستريح ولا تهدأ إلا إذا تخلَّصت من هذه الفضلات .

إذ إن مثل هذا التذكير يساعد كثيراً فى ردع النَّفس ، وردها عن غيِّها ، واقتلاع داء الإعجاب منها ، بل وحمايتها من التورِّط فيه مرَّة أخرى .

ولقد لفت أحد السلف النَّظر إلى هذه الوسيلة حين سمع معجبا بنفسه يخاطبه قائلا : « أتعرف مَنْ أنا ؟ ».

فردَّ عليه بقوله : « نعم ، أعرف مَنْ أنت ؛ لقد كنت نطفة قذرة ، وستصير جيفة قذرة ، وأنت بين هذا وذاك تحمل العذرة » .

٢ ـ التذكير دائما بحقيقة الدنيا والآخرة ، وذلك بأن يعرف المعجب بنفسه أن الدنيا مزرعة للآخرة ، وأنَّه مهما طال عمرها فإنَّها إلى زوال ، وأن الآخرة إنَّما هى الباقية ، وأنَّها هى دار القرار ، إذ إنَّ مثل هذا التذكير يحمل الإنسان على أنْ يعدِّل من

(١) العوائق للأستاذ : محمد أحمد الراشد ص ٥٣ .

obeikandl.com

سلوكه ، أو يقوِّم عوج نفسه ، قبل أن تنتهى الحياة ، وقبل أنْ تضيع الفرصة ، ويفوت الأوان .

٣ ـ التذكير بنعم الله التى تغمر الإنسان ، وتحيط به من أعلى إلى أدنى ؛ كما قال سبحانه: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ﴿ **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ [لقمان : ٢٠] . فإن هذا التذكير من شأنه أن يشعر الإنسان بضعفه وفقره، وحاجته إلى الله دائما ، وبالتالى يُطَهِّرُ نفسه من داء الإعجاب ، بل ويقيه أن يبتلى به مرَّةً أخرى .

٤ ـ التفكُّر فى الموت ، وما بعده من منازل ، وما سيكون فى هذه المنازل من شدائد وأهوال ، فإن ذلك كفيل باقتلاع الإعجاب من النفس ، بل وتحصينها ضدَّه، لمن كان له قلب أو ألقى السَّمْع وهو شهيد .

٥ ـ دوام الاستماع أو النظر فى كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وسنة النبىِّ ﷺ؛ فإنَّ فيهما البيانَ الشافى ، والتحليلَ الدقيق لكل ما يتصل بالوسائل الأربع المذكورة آنفا، وبهما يتخلص الإنسان ـ إن كان موضوعيا وصادقا مع نفسه ـ مِنْ كل داء .

٦ ـ دوام حضور مجالس العلم، لاسيِّما تلك التى تدور حول علل النفس وطريق الخلاص منها ، فإن أمثال هذه المجالس كثيرا ما تعين على تطهير النفس ، بل وصيانتها من داء الإعجاب .

٧ ـ الاطلاع على أحوال المرضى ، وأصحاب العاهات ، بل والموتى، لاسيما فى وقت غَسْلهم وتكفينهم ودفنهم ، ثم زيارة القبور بين الحين والحين والتفكر فى أحوال أهلها ومصيرهم ، فإن ذلك يحرِّك الإنسان من داخله ، ويحمله على اقتلاع العجب ونحوه من كلِّ العلل والأمراض النفسية أو القلبية.

٨ ـ وصيَّة الأبوين أن يتحرراً من داء الإعجاب بالنَّفس ونحوه ، وأن يكونا قدوة صالحة أمام الولد ، وأن يفهماه بأنَّ ما وقع منهما كان خطأ وأنهما قد أقلعا عن هذا الخطأ ، وعليه أن يقلع عنه مثلهما ويتوب إلى الله عز وجل.

٩ ـ الانقطاع عن صحبة المعجبين بأنفسهم ، مع الارتماء فى أحضان المتواضعين العارفين أقدارهم ومكانتهم ؛ فإن ذلك يساعد فى التخلص ، بل وفى التوقى من الإعجاب بالنفس .

١٠ ـ التوصية والتأكيد على ضرورة اتباع الآداب الشرعيَّة فى الثناء والمدح، فى التوقير والاحترام، فى الانقياد والطاعة، مع الإعراض والزجر الشديد لكل مَنْ يخرجون على هذه الآداب؛ فإن ذلك له دور كبير فى مداواة النفس وتحريرها من الإعجاب .

١١ ـ التأخير عن المواقع الأماميَّة بعض الوقت ، إلى أن تستقيم النفس ، ويصلب عودها ،وتستعصى على الشيطان ؛ فإن ذلك يُسهِّل طريق العلاج.

١٢ ـ دوام النَّظر فى سيرة السَّلف ، وكيف كانوا يتعاملون مع أنفسهم حين يَرَوْن منها مثل هذا الخلق؛ فإن ذلك يحمل على الاقتداء والتأسى، أو على الأقل المحاكاة، والمشابهة فى استئصال هذا الداء، وقطع الطريق عليه أن يعود إلى النَّفس مرَّةً أخرى .

١٣ ـ تعريض النَّفس بين الحين والحين لبعض المواقف التى تقتل كبرياءها، وتضعها فى موضعها الصحيح، كأن يقوم صاحبها بخدمة إخوانه الذين هم أدنى منه فى المرتبة، أو أن يقوم بشراء طعامه من السُّوق ، وحَمْل أمتعته بنفسه، على نحو ما أثر عن كثير من السلف.

فقد روى عن عمر رضي الله عنه : أنَّه لَمَّا قدم الشَّام عرضَتْ له مخاضة، فنزل عن بعيره ونزع خُفَّيه وأمسكهما، وخاض الماء، ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة عامر بن الجَرَّاح: لقد صنعتَ اليوم صنعا عظيما عند أهل الأرض، فصكَّ صدره، وقال: أوه، لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة !! إنكم كنتم أذلَّ النَّاس وأحقر الناس ، فأعزكم الله برسوله ، فمهما تطلبوا العزَّ بغيره يذلكم الله .

وجاء فى رواية أخرى : أنَّه لما قدم الشَّام استقبله النَّاس ، وهو على بعيره، فقيل له : لو ركبتَ برذونا تلقى به عظماء النَّاس ووجوههم ؟ فقال عمر رضي الله عنه : لا أراكم ها هنا ، إنَّما الأمر من هاهنا ـ وأشار بيده إلى السَّماء ـ خلُّوا سبيل جملى [1] .

١٤ ـ متابعة الآخرين له،ووقوفهم بجانبه حتى يتمكَّن من التخلص من هذه الآفة.

١٥ ـ محاسبة النفس أولا بأول ، حتى يمكن الوقوف على العيوب وهى لا تزال فى بداياتها فيسهل علاجها ، والوقاية منها .

١٦ ـ إدراك العواقب والآثار المترتِّبة على الإعجاب بالنَّفس ؛ فإنها ذات أثر فعَّال فى علاج هذه الآفة والتحصُّن ضدَّها .

---

(١) انظر : مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسى ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

١٧ ـ الاستعانة بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ وذلك بواسطة الدعاء والاستغاثة واللجوء إليه أن يأخذ الله بيده ، وأن يطهِّره من هذه الآفة ، وأن يقيه شر الوقوع فيها مرَّة أخرى، إذ إن مَنْ استعان بالله أعانه الله ، وهداه لصراطه المستقيم .

١٨ ـ التأكيد على المسئولية الفردية، بغض النظر عن الأحساب والأنساب؛ فإن ذلك له دور كبير فى علاج النفس، بل وحفظها من أن تقع مرَّة أخرى فى آفة الإعجاب .

obeikandl.com